

# فقه الحديث خير من الحديث

د. عرفات كرم ستوني

*stoniati@yahoo.com*

## تمهيد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم... وبعد  
فإن الحديث يتكون في ذاته من المتن والسند، فهما ركننا الحديث الرئيسان،  
فالأول هو نص الحديث، والثاني هو رواية الحديث إلى أن يصل إلى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم، لا ريب أن بعض المحدثين اهتموا كثيرا بالجانب الثاني أيما اهتمام،  
وبعضهم أوصله اهتمامه إلى درجة أن أهمل الجانب الأول أعني متن الحديث، وبعبارة  
أخرى إن بعض المحدثين أهملوا النقد الداخلي لمتون الحديث، وركزوا على النقد  
الخارجي أي نقد الأسانيد، ومعلوم أن ذينك النقيدين مختلفان جدا، لأن الأول يركز على

نص الحديث ومدى موافقته للقواعد والأسس التي وضعها العلماء، بخلاف الثاني الذي يركز على رواة الحديث ومدى ضبطهم وثقتهم، يقول ابن قيم الجوزية وهو يتحدث عن عملية نقد المتن: " وإنما يعلم ذلك من تزلج في معرفة السنن الصحيحة، واختلطت بلحمه ودمه، وصار له فيها ملكة، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار، ومعرفة سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهدية"<sup>1</sup>. وسنحاول في هذه الصفحات إلقاء الضوء على بعض الإشكاليات التي لها صلة بمسألة نقد المتن، وصلة ذلك بمسألة كون فقه الحديث خيرا من الحديث نفسه.

## علم الإسناد

هذا العلم من العلوم التي يفتخر بها المسلمون، فهم وحدهم أصحاب هذا العلم الفذ، يقول ابن المبارك: " بيننا وبين القوم القوائم ، يعني: الإسناد"<sup>2</sup>. لأنه علم يحفظ كل صغيرة وكبيرة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، من مهده إلى لحدده، ومن مبعثه إلى التحاقه بربه، ولهذا شددوا على هذا العلم وأهميته، لكونه له صلة بالوحي، وهو سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في مسجد الكوفة: " انظروا عمن تأخذون هذا العلم، فإنما هو دين"<sup>3</sup>. وقال محمد بن سيرين: " إن هذا الحديث دين، فانظروا عمن تأخذونه"<sup>4</sup>. ويقول ابن المبارك: " الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"<sup>5</sup>.

ولو لم يكن هذا العلم ديناً، وذا أهمية بليغة في تصور السلف، لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عنه، والرحلة في طلبه، قال سعيد بن المسيّب: " إن كنت لأسير ثلاثاً في الحديث الواحد"<sup>6</sup>. وقال أبو سنان القسلي عن محمد بن مخلد أن جابر بن عبد الله خرج إليه إلى مصر في حديث بلغه عنه، فسأله عنه فأخبره ثم رجع"<sup>7</sup>. ومنهم من قضى حياته وعمره في طلب الحديث، قال يعقوب بن سفيان الفسوي: " قمت في الرحلة ثلاثين

<sup>1</sup> ابن قيم الجوزية: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق: أحمد عبد الشافي(بيروت، دار الكتب العلمية، 1988م) ص37-38.

<sup>2</sup> يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزني: تهذيب الكمال مع حواشيه، تحقيق: د. بشار عواد معروف(بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1400هـ، 1980م) 211/14.

<sup>3</sup> الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، تحقيق أحمد عمر هاشم (بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، 1986م) ص149.

<sup>4</sup> المصدر السابق ص150.

<sup>5</sup> مسلم النيسابوري: صحيح مسلم بشرح النووي (د.م.ت، دار الفكر) 87/1.

<sup>6</sup> القاضي عياض بن موسى اليحصبي: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق: السيد أحمد صقر (القاهرة، المكتبة العتيقة، ط1، 1379هـ، 1970م) ص233.

<sup>7</sup> الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق محمد عجاج خطيب (دار الفكر، ط3، 1984م) ص223.

سنة<sup>8</sup>. ومنهم من طاف البلاد كلها في طلب الحديث، عن ابن إسحاق قال: "سمعت مكحولاً يقول: طفت الأرض في طلب العلم"<sup>9</sup>. وكان أحدهم إذا فاتته سماع حديث واحد يصيبه الحزن والأسى على ذلك، فهذا عبد الله بن داود يقول: "كان سبب دخولي البصرة أن ألقى ابن عون، فلما صرت إلى قناطر سردارا تلقاني نعي ابن عون، فدخلني ما الله به عليم"<sup>10</sup>. وأغرب من هذه القصص جميعها، قصة شعبة، سمعت نصر بن حماد يقول كنا قعوداً على باب شعبة نتذاكر فقلت: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر قال: كنا نتناوب رعية الإبل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فجئت ذات يوم، والنبي صلى الله عليه وسلم حوله أصحابه، قال: فسمعتة يقول: من توضع فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين فاستغفر الله إلا غفر له قال فقلت: بخ بخ، قال: فجدبني رجل من خلفي فالتفت، فإذا عمر بن الخطاب، قال: الذي قال قبل أحسن، قلت: وما، قال: قال من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، قيل له: ادخل من أي أبواب الجنة شئت، قال: فخرج شعبة فلطمني ثم رجع ففتحيت من ناحية ثم خرج بعد فقال ما له بعد يبكي فقال له عبد الله بن إدريس: إنك أسأت إليه، قال: انظر ما يحدث عن إسرائيل، عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال شعبة: أنا، قلت لأبي إسحاق من حدثك: قال: حدثني عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر، قال: سمع عبد الله بن عطاء من عقبة، قال: فغضب ومسعر بن كدام حاضر، فقال: قد أغضبت الشيخ، قلت: ليصحح هذا الحديث، فقال: مسعر بن كدام عبد الله بن عطاء بمكة، قال شعبة: فرحلت إلى مكة، فلقيت عبد الله فسألته، فقال سعد بن إبراهيم: حدثني، قال شعبة: ثم لقيت مالك بن أنس، فقال: سعد بالمدينة لم يحج العام، قال شعبة: فرحلت إلى المدينة، فلقيت سعدا فسألته، فقال: الحديث من عندكم زياد بن مخراق، حدثني، قال شعبة: فلما ذكر زياد، قلت: أي شيء هذا الحديث بينما هو كوفي إذ صار مكياً، إذ صار مدينيماً، إذ صار بصرياً، قال شعبة: فرحلت إلى البصرة فلقيت زياد بن مخراق فسألته، فقال: ليس الحديث من بابتك<sup>11</sup> قلت: حدثني به قال: لا تريده، قلت: حدثني به، قال: حدثني شهر بن حوشب عن أبي ریحانة عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال شعبة: فلما ذكر شهر، قلت: دمر علي هذا الحديث، لو صح لي هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب الي من أهلي ومالي والناس أجمعين"<sup>12</sup>.

<sup>8</sup> الخطيب البغدادي: ملحق الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نورالدين عتر (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1985م) ص 206.

<sup>9</sup> الذهبي: تذكرة الحفاظ، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1419هـ - 1998م) 82/1.

<sup>10</sup> المزي: تهذيب الكمال 462/14.

<sup>11</sup> أي لا يصلح لك، يقال هذا من بابتك أي يصلح لك.

<sup>12</sup> أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1418 هـ، 1997 م) 58-57/5.

وسبب تشدد علماء السلف تجاه السنة ورواتها، لظهور الطوائف التي أكثرت من رواية الأحاديث بغض الطرف عن صحتها وضعفها، وخاصة أن بعضها قصدت من وراء هذه الأحاديث -مع كونها كاذبة- نصرة رأيها ومذهبها. لذلك يقول ابن عباس رضي الله عنه: "إنا كنا نحدث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ لم يكن من يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه"<sup>13</sup>.

والدليل على ما ذكره ابن عباس ما ذكره ابن لهيعة بقوله: "سمعت شيخاً من الخوارج وهو يقول: إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، فإننا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً"<sup>14</sup>. وقد اعترف بعضهم بوضع الأحاديث على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعن جعفر بن سليمان، قال: سمعت المهدي يقول: أقر عندي رجل من الزنادقة أنه وضع أربعمئة حديث فهي تجول في أيدي الناس"<sup>15</sup>. ولا جرم أن ثمة أسباباً عديدة دفعت بعض الطوائف وأشياؤها إلى وضع الأحاديث، وهو موضوع كتبت فيه رسائل، وصنفت فيه مصنفات و مؤلفات مستقلة قديماً وحديثاً، والغريب أن بعضهم كالصوفية يضعون الأحاديث، ويقولون: نحن لا نكذب على رسول الله، بل نكذب له، وهذا لا يحدث فرقا، فالأمران مرفوضان، وينطبق عليه قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "من كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار"<sup>16</sup>. فعن المؤمل بن إسماعيل قال حدثني شيخ به فقلت للشيخ من حدثك فقال حدثني رجل بالمدائن وهو حي فصرت إليه فقلت من حدثك فقال حدثني شيخ بواسط وهو حي فصرت إليه فقال حدثني شيخ بالبصرة فصرت إليه فقال حدثني شيخ بعبادان فصرت إليه فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً فإذا فيه قوم من المتصوفة ومعهم شيخ فقال هذا الشيخ حدثني فقلت يا شيخ من حدثك فقال لم يحدثني أحد ولكن رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن<sup>17</sup>، أي أحاديث في فضل بعض سور القرآن الكريم.

ولا يعني هذا أن تلك الأحاديث لا تزال موجودة لا أحد يعرف كذبها وضعفها، بل إن الله قيض رجالاً يبينون للناس حقيقتها، أخرج ابن عساكر عن الرشيد أنه جيء إليه بزنديق فأمر بقتله، فقال: يا أمير المؤمنين أين أنت عن أربعة آلاف حديث وضعتها فيكم، أحرم فيها الحلال، وأحلل فيها الحرام ما قال النبي (صلى الله عليه وسلم) منها حرفاً، فقال الرشيد أين أنت يا زنديق من عبد الله بن المبارك وأبي إسحاق الفزاري

<sup>13</sup> مسلم النيسابوري: صحيح مسلم بشرح النووي 80/1.

<sup>14</sup> الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمد عجاج الخطيب (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1994م) 210/1.

<sup>15</sup> الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية ص471.

<sup>16</sup> رواه البخاري كتاب بدء الوحي رقم الحديث 1291 ومسلم باب التحذير من الكذب على رسول الله رقم الحديث 4.

<sup>17</sup> السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف (الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، طبت) 288/1

ينخلانها فيخرجانها حرفا حرفا<sup>18</sup>. قيل لابن المبارك: " هذه الأحاديث المصنوعة، فقال: تعيش لها الجهابذة"<sup>19</sup>.

بل لقد كان بعضهم يحفظ الأحاديث الموضوعية بدل الصحيحة للذود عن سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول إسحاق بن راهويه: " أحفظ أربعة آلاف حديث مزورة"<sup>20</sup>. ويقول أبو زرعة: " أنا أحفظ ستمائة ألف حديث صحيح ، وأربعة عشر ألف إسناد في التفسير والقراءات ، وعشرة الآف حديث مزورة ! قيل له : ما بال المزورة تحفظ ؟ قال: إذا مرّ بي منها حديث عرفته "<sup>21</sup>. فالمحدثون حراس الأرض، وسلاحهم الإسناد يقاتلون به كما قال سفيان الثوري<sup>22</sup>.

والغريب أن علماء السلف كانوا حريصين الحرص كله على الذود عن سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولو كلفهم الطعن في أقرب الناس إليهم، سئل علي ابن المديني عن أبيه فقال: سلوا عنه غيري، فأعادوا، فأطرق ثم رفع رأسه فقال: هو الدين، إنه ضعيف<sup>23</sup>، ويقول أبو داود صاحب السنن: " ابني عبد الله كذاب"<sup>24</sup>. وقال زيد يعني ابن أبي أنيسة: " لا تأخذوا عن أخي"<sup>25</sup>. ويقول جرير عن أخيه أنس بن عبد حميد: لا يكتب حديثه فإنه يكذب في كلام الناس<sup>26</sup>. حدثنا عبد الخالق بن منصور قال: سألت يحيى بن معين عن علي بن قرين، فقال لي: كذاب، فقلت له: يا أبا زكريا، إنه ليذكر أنه كثير التعاهد لكم، قال يحيى: صدق، إنه ليكثر التعاهد لنا، ولكني استحي من الله أن أقول فيه إلا الحق، هو كذاب"<sup>27</sup>.

ولا شك أن الكلام في هؤلاء ودمهم جائز شرعا باتفاق الفقهاء، وليس من باب الغيبة، ولولا ذلك لهلك صنفان من الناس الحكام والمحدثون، يقول ابن دقيق العيد:

<sup>18</sup> جلال الدين السيوطي: تحذير الخواص عن أكاذيب القصاص، تحقيق محمد لطفي الصباغ (بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1984م) ص214-215.

<sup>19</sup> ابن الجوزي: الموضوعات (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط.ت) 1/35-46.

<sup>20</sup> السيوطي: تحذير الخواص عن أكاذيب القصاص ص 216.

<sup>21</sup> ابن رجب الحنبلي: شرح علل الترمذي، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد(الرياض، مكتبة الرشد، ط2، 1421هـ، 2001م) 1/500.

<sup>22</sup> الخطيب البغدادي: شرف أصحاب الحديث، تحقيق محمد سعيد خطيب أوغلي(أنقرة، دار إحياء السنة النبوية، د.ت) ص44، والذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط(بيروت، مؤسسة الرسالة، 1970م) 13/314.

<sup>23</sup> عبد الله بن فودي: منظومة مصباح الراوي في علم الحديث، دراسة وتحقيق وشرح: محمد المنصور إبراهيم(نيجيريا، دار العلم، د.ت.ط) ص118.

<sup>24</sup> الذهبي: تذكرة الحفاظ 2/238.

<sup>25</sup> مسلم النيسابوري: صحيح مسلم 1/97.

<sup>26</sup> ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين، تحقيق: عبد الله القاضي (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط. 1406هـ) 1/128.

<sup>27</sup> الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد(بيروت، دار الكتب العلمية) 12/51.

أعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها طائفتان من الناس المحدثون والحكام<sup>28</sup>.

ولكن ينبغي أن يكون الكلام في الناس بعلم وعدل وإنصاف وموضوعية بعيدا عن التشنج والعاطفة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني: "والله يحب الكلام بعلم وعدل، ويكره الكلام بجهل وظلم"<sup>29</sup>.

ولقد تردد بعض علماء السلف في نقد رواة الحديث خوفا من أن يعد ذلك غيبة أو طعنا أو ما شابه ذلك، إلا أن المحققين من المحدثين عدوا ذلك ذودا ودفاعا عن سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، لذا لم يترددوا لحظة واحدة في نقد الرجال وفضحهم، ولو كانوا أقرب الناس إليهم، بل كانوا يتخولون اللحظات المناسبة للحديث عنهم ونقدهم، كان شعبة يقول: "تعالوا حتى نغتاب في الله ساعة". يعني نذكر الجرح والتعديل<sup>30</sup>. ويقول أبو زيد الأنصاري النحوي: "أتينا شعبة يوم مطر فقال ليس هذا يوم حديث، اليوم يوم غيبة تعالوا حتى نغتاب الكذابين"<sup>31</sup>.

قال محمد بن بندار السباك الجرجاني: "قلت لأحمد بن حنبل، إنه يشتد علي أن أقول فلان ضعيف وفلان كذاب، فقال أحمد: إذا سكت أنت، وسكت أنا، فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم"<sup>32</sup>. قيل لشعبة بن الحجاج: يا أبا بسطام كيف تركت علم رجال وفضحتهم، فلو كفت فقال: أجلوني حتى أنظر الليلة فيما بيني وبين خالقي هل يسعني ذلك، قال: فلما كان من الغد خرج علينا على حمير له، فقال: قد نظرت فيما بيني وبين خالقي، فلا يسعني دون أن أبين أمورهم للناس والسلام"<sup>33</sup>. قال أبو بكر بن خلاد: قلت ليحيى بن سعيد القطان أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله تعالى، فقال: لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب الي من أن يكون خصمي رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: لم لم تذب الكذب عن حديثي"<sup>34</sup>. بل إن الإمام الدار قطني كان يتحدى أهل بغداد بقوله: "يا أهل بغداد لا تظنون أن أحدا

<sup>28</sup> ابن دقيق العيد: الاقتراح في بيان الاصطلاح، تحقيق قحطان عبد الرحمن الدوري (بغداد، مطبعة الإرشاد، 1982م) ص344.

<sup>29</sup> ابن تيمية الحراني: مجموع الفتاوى الكبير تحقيق: أنور الباز و عامر الجزار (دم. دار الوفاء، ط3، 1426 هـ، 2005 م) 3/ 409.

<sup>30</sup> ابن رجب الحنبلي: شرح علل الترمذي 355/1.

<sup>31</sup> الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية ص45.

<sup>32</sup> السيوطي: تحذير الخوص من أكاذيب القصاص ص180.

<sup>33</sup> أبو بكر الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، تحقيق ص44.

<sup>34</sup> الملا علي القاري: لأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، تحقيق: محمد الصباغ (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1391 هـ، 1971م) ص49.

يقدر يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا حي<sup>35</sup>. ويقول أبو بكر بن خزيمة: "حياة أبي حامد<sup>36</sup> تحجز بين الناس والكذب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)"<sup>37</sup>.  
والحقيقة أن المحدثين كانوا يعرفون صحة الحديث من ضعفه بواسطة الأسانيد التي كانوا ينخلونها ويدققونها، ولا يعني هذا أن جميع المحدثين ركزوا فقط على هذا الجانب أي علم الإسناد أو مصطلح الحديث وهو الذي يدعى بالنقد الخارجي، بل ركزوا على الجانب الآخر، وهو نقد متون الأحاديث ونصوصها، وهو الذي يسمى بالنقد الداخلي للحديث، ولقد غدا نقد المتون عند المحدثين ملكة قوية، وهيئة نفسية، وخبرة ذاتية، وهذا خاص بأهل الحديث وليس لغيرهم، يقول ابن قيم الجوزية: "وإنما يعلم ذلك من تزلع في معرفة السنن الصحيحة، واختلطت بلحمه ودمه، وصار له فيها ملكة، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار، ومعرفة سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهديه"<sup>38</sup>. قال نعيم بن حماد: قلت لعبد الرحمن بن مهدي، كيف تعرف صحيح الحديث من غيره، قال: كما يعرف الطبيب المجنون"<sup>39</sup>. يقول الربيع بن خيثم أبو يزيد: "إن من الحديث حديثاً له ظلمة كظلمة الليل فتكرهه، وإن من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار تعرفه"<sup>40</sup>. ويقول ابن الجوزي: "واعلم أن حديث المنكر يقشع له جلد طالب العلم منه وقلبه في الغالب"<sup>41</sup>.

ولقد عرف طائفة من العلماء بهذا النوع من النقد أعني نقد المتون، من غير حاجة أن يدققوا في سند الحديث ورواته، وإن السيدة عائشة رضي الله عنها عرفت بذلك، وقد جمع الزركشي اعتراضات أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) على الصحابة في مصنف بعنوان: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة.  
ومن الذين عرفوا بهذا الفن الإمام الشافعي، فقد ألف كتاباً أسماه (اختلاف الحديث)، اعترض على جملة من الأحاديث، في كونها لا ترتقي إلى درجة الحديث المقبول، وسنقتصر على مثال واحد، حيث يقول رحمه الله: "باب صلاة المنفرد: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رأى رجلاً يصلي خلف الصف وحده، فأمره أن يعيد الصلاة". قال الشافعي: "أرأيت صلاة الرجل منفرداً أتجزئ عنه؟ فإن قال نعم، قلت: وصلاة الإمام أمام الصف، وهو في صلاة الجماعة، فإن قال نعم، قيل: فهل يعدو المنفرد

<sup>35</sup> ابن الجوزي: الموضوعات 1/35-46.

<sup>36</sup> هو أبو حامد الحافظ بن الشَّرقي، المؤرخ المصنف، أحمد بن محمد ابن الحسن، تلميذ مسلم، روى عن عبد الرحمن بن بشر وطبقته توفي عام (325هـ).

<sup>37</sup> ابن الجوزي: الحث على حفظ العلم، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد (الإسكندرية، دار الدعوة، ط1، 1983م) ص45.

<sup>38</sup> ابن القيم: المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص37-38.

<sup>39</sup> الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية ص471.

<sup>40</sup> المقرئزي: مختصر الكامل في الضعفاء، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي (القاهرة، مكتبة السنة، 1415هـ، 1994م) ص59.

<sup>41</sup> ابن الجوزي: الموضوعات 1/103.

خلف المصلي أن يكون كالإمام المنفرد أمامه أو يكون كرجل منفرد يصلي لنفسه منفرداً، فإن قيل، فهكذا سنة موقف الإمام والمنفرد، قيل فسنة موقفهما تدل على أن ليس في الانفراد شيء يفسد الصلاة<sup>42</sup>. وأمر آخر أن بعضهم عندما يدخل المسجد، وقد تم الصف، يجذب شخصاً داخل الصف لكي يصلي معه، درءاً للانفراد، مع كون هذا الحديث ضعيفاً<sup>43</sup>، فإن المصلي يرتكب خطأ آخر، لأنه يترك فراغاً في الصف الذي جذب منه شخصاً، وهذا مخالف للسنة الأمرة بإتمام الصفوف، وعلى هذا فإن الصف إذا اكتمل، جاز للرجل أن يصلي وحده منفرداً، وهذا منطقي ومعقول، ولذلك رجحه الشافعي.

ومن الذين عرفوا بهذا الفن ابن قتيبة الدينوري، ولا جرم أن ما قدمه ابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) يعد موسوعة علمية فذة، حيث جمع الشبهات التي تثار حول بعض أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقد حاول بأسلوب علمي أن يبين أن تلك الأحاديث غير صحيحة، كل ذلك عن طريق نقد المتن، وهو في الحقيقة عملية إعمال للعقل، والمثال على ذلك، عن عبد الله الداناج قال: شهدت أبا سلمة بن عبد الرحمن في مسجد البصرة وجاء الحسن فجلس إليه فحدث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة" فقال الحسن: وما ذنبهما قال: إني أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت قالوا: قد صدق الحسن ما ذنبهما وهذا من قول الحسن رد عليه أو على أبي هريرة، فأجاب ابن قتيبة بقوله: " ونحن نقول إن الشمس والقمر لم يعذبا بالنار حين أدخلها، فيقال ما ذنبهما ولكنهما خلقا منها، ثم ردا إليها... فما كان من النار ثم رد إلى النار لم يقل أنه يعذب<sup>44</sup>، وما كان من المسخر المقصور على فعل واحد كالنار والفلك المسخر الدوار والبحر المسجور وأشبه ذلك لا يقع به تعذيب، ولا يكون له ثواب وما مثل هذا إلا مثل رجل سمع بقول الله تعالى: " فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة " فقال: ما ذنب الحجارة<sup>45</sup> .

<sup>42</sup> الشافعي: اختلاف الحديث، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1986م) ص130.

<sup>43</sup> ونص الحديث عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا انتهى أحدكم إلى الصف وقد تم، فليجذب إليه رجلاً يقيمه إلى جنبه". لا يروى هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد، تفرد به: بشر بن إبراهيم انظر: الطبراني: المعجم الأوسط رقم الحديث 7988، وقد ضعف الحديث الألباني انظر: الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (الرياض، دار المعارف ط1، 1412 هـ، 1992م) 321/2.

<sup>44</sup> في هذه العبارة من كلام ابن قتيبة نظر، فإن الشيطان قد خلق من النار، ثم يرد إلى النار، ويسمى ذلك تعذيباً.

<sup>45</sup> ابن قتيبة الدينوري: تأويل مختلف الحديث تحقيق: محمد زهري النجار (بيروت، دار الكتب العلمية، 1988م) ص102.



ومن الذين عرفوا بنقد الأحاديث نقدا داخليا أي نقد المتون والنصوص قبل نقد رواة الأحاديث وأسانيدها شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، وقد سماه الطباطبائي بالنقاد الكبير<sup>46</sup> ومع أن ابن تيمية الحراني لم يصنف كتابا كغيره في هذا الفن، ولكن كتبه ومؤلفاته ورسائله مليئة بالأمثلة، وسنذكر بعض الأمثلة على ذلك:

الأول: حديث: "من لم تنهه صلته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعدا" قال ابن تيمية الحراني: "فالصلاة لا تزيد صاحبها بعدا، بل الذي يصلي خير من الذي لا يصلي، وأقرب إلى الله، وإن كان فاسقا"<sup>47</sup>.

الثاني: حديث: من أكل مع مغفور له غفر له. قال ابن تيمية الحراني: "فقد يأكل مع المسلمين الكفار والمنافقون"<sup>48</sup>. أقول: ومن يدري أنه مغفور له؟ فذلك غيب ليس للإنسان سبيل إلى معرفته، بل الشهادة على ذلك رجم بالغيب، وتجاوز للحدود.

أما ابن قيم الجوزية فقد وضع القواعد والأسس التي يمكن الانطلاق منها لمعرفة الحديث الصحيح من السقيم، بمعنى آخر يمكن الحكم على الحديث في كونه ضعيفا بمجرد النظر والتفكير والتدقيق في نص الحديث ومنتنه، كل ذلك حتى لا يكون هذا الفن مرتعا لكل من هب ودب، ومن هذه القواعد:

● ركافة اللفظ. قال ابن قيم الجوزية: "ومن ذلك حديث من فارق الدنيا وهو سكران، دخل القبر سكران، وبعث من قبره سكران، وأمر به إلى النار سكران، إلى جبل أو نهر يقال له سكران"<sup>49</sup>.

● فساد المعنى. مثال حديث: "من لم يكن له مال يتصدق به، فليعلن اليهود والنصارى، قال ابن القيم عقبه: "فإن اللعنة لا تقوم مقام الصدقة أبدا"<sup>50</sup>. وقال يحيى بن معين: "هذا كذب باطل، ولا يحدث بهذا أحد يعقل"<sup>51</sup>. ومثال آخر ما رواه أبو هريرة أنه قال: "من غسَّ لَمِيتًا اغتسل، ومن حملة توضأ". فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها، فقالت: أو نجس موتى المسلمين؟ وما على رجل لو حمل عودا"<sup>52</sup>.

<sup>46</sup> مصطفى طباطبائي: المفكرون المسلمون في مواجهة المنطق اليوناني، ترجمه من الفارسية عبد الرحيم البلوشي (بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1410هـ/1990م) ص89.

<sup>47</sup> ابن تيمية الحراني: مجموع الفتاوى الكبير 65/5.

<sup>48</sup> ابن تيمية الحراني: أحاديث القصاص، تحقيق محمد لطفي الصباغ (بيروت، دار اتلكتب العلمية، ط2، 1985م) ص73.

<sup>49</sup> ابن قيم الجوزية: نقد المنقول والمحك المميز بين المرود والمقبول، تعليق: حسن سامي سويدان (بيروت، دار القاوري، ط1، 1990م) ص87.

<sup>50</sup> ابن قيم الجوزية: المنار المنيف ص58.

<sup>51</sup> المصدر السابق والصفحة نفسها.

<sup>52</sup> بدر الدين الزركشي: الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة، تحقيق سعيد الأفغاني (بيروت، المكتب الإسلامي، ط4، 1985م) ص111.

● مخالفة القرآن الكريم<sup>53</sup>. مثاله، أخرج البخاري ومسلم واللفظ له عن عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة، وذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول: "إن الميت يعذب ببكاء الحي، فقالت عائشة: يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب، ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على يهودية يبكي عليها، فقال: إنهم يبكون عليها، وإنها لتعذب في قبرها"، قال الزركشي معقبا: "وحديثها - أي عائشة رضي الله عنها- موافق لظاهر القرآن، وهو قوله تعالى {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} <sup>54</sup>، وهذا يعني أن ما رواه ابن عمر مخالف للقرآن الكريم من حيث ظاهر النص، وإن كان للحديث تأويلات أخرى مقبولة، وهي أولى بالأخذ من رفض الحديث جملة، ومثال آخر حديث: "سب أصحابي ذنب لا يغفر"، قال ابن تيمية الحراني: "هذا كذب على النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد قال الله تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } <sup>56</sup>، <sup>57</sup>"

● أن يكون الحديث فيه دعوة للفساد، مثاله "ثلاثة تزيد في البصر، النظرة إلى الخضرة، والماء الجاري، والوجه الحسن". قال ابن القيم معقبا: "وكل حديث فيه ذكر حسان الوجه أو الثناء عليهم أو الأمر بالنظر إليهم أو التماس الحوائج منهم أو أن النار لا تمسهم فكذب مختلق وإفك مفترى" <sup>58</sup>.

● أن يكون الحديث مخالفا للحس والمشاهدة. مثال: إذا عطس الرجل عند الحديث فهو دليل على صدقه. قال ابن القيم: "فالحس يشهد بوضعه لأننا نشاهد العطاس والكذب يعمل عمله، ولو عطس مائة ألف رجل عند حديث يروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يحكم بصحته بالعطاس، ولو عطسوا عند شهادة الزور لم تصدق" <sup>59</sup>.

● أن يكون مخالفا للطب. مثاله: الباذنجان لما أكل له. وفي رواية: الباذنجان شفاء من كل داء. قال ابن القيم: "قبح الله واضعهما، فإن هذا لو قاله يوحنس أمهر

<sup>53</sup> ولا يستدلن أحد بحيث: "إذا سمعتم عني حديثا فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافقه فاقبلوه، وإلا فردوه". قال العجلوني: لم يثبت فيه شيء، وهذا الحديث من أوضاع الموضوعات، بل صح خلافه، ويقصد حديث "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه" وسيأتي تخريجه. انظر: العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس (د.م. ط. دار إحياء التراث العربي) 423/2.

<sup>54</sup> سورة فاطر الآية 18.

<sup>55</sup> الزركشي: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص 91-92.

<sup>56</sup> سورة النساء الآية 116.

<sup>57</sup> ابن تيمية الحراني: الأحاديث الموضوعية، تحقيق محمد الأرنؤوط (الكويت، مكتبة العروة، ط1،

1988م) ص 75.

<sup>58</sup> ابن القيم: المنار المنيف ص 60-61.

<sup>59</sup> المصدر السابق ص 48.

الأطباء لسخر الناس منه، ولو أكل الباذنجان للحمى والسوداء الغالبة وكثير من الأمراض لم يزد لها إلا شدة، ولو أكله فقير ليستغني لم يفده الغنى، أو جاهل ليتعلم لم يفده العلم"<sup>60</sup>. ومثال آخر حول هذه القاعدة: عليكم بالعدس فإنه مبارك يرقق القلب، ويكثر الدمعة، قدس فيه سبعون نبيا. قال إسحاق بن إبراهيم: سئل ابن المبارك عن الحديث الذي حدث في أكل العدس أنه قدس على لسان سبعين نبيا؟ فقال: لا ولا على لسان نبي واحد، إنه لمؤذ ينفخ، من حدثكم؟ قالوا: سلم بن سالم، فقال: عمن؟ قالوا: عنك؟ قال: وعني أيضا"<sup>61</sup>. وقد ذكر ابن القيم بعض مضار العدس المحسوسة<sup>62</sup>.

### فقه الحديث خير من حفظه

هناك من ركز على جمع الأحاديث وحفظها وكتابتها وجمع طرقها وأسانيدها، من غير أن يركز ولو قليلا على نص الحديث ومادته وشرحه وتفسيره وتأويله وما إلى ذلك، وهذه الظاهرة كانت تمثل خطرا على السنة نفسها، ومن أجل ذلك وقف السلف بشدة تجاهها وانتقدوها بأقوالهم، وسنورد بعض تلك الأقوال لعلماء السلف، فمنها: يقول الحسن البصري: "همة العلماء الرعاية، وهمة السفهاء الرواية"<sup>63</sup>. وقال مصعب الزبيري: "سمعت مالك بن أنس وقد قال لابن أخيه أبي بكر وإسماعيل ابني أبي أويس: أراكما تحبان هذا الشأن وتطلبانه، يعني الحديث، قالوا: نعم قال: إن أحببتما أن تنتفعا، وينفع الله بكما، فأقلا منه وتفقها"<sup>64</sup>. وقال وكيع: "يا فتیان، تفهموا فقه الحديث، فإنكم إن تفهمتم فقه الحديث، لم يقهر عليكم أهل الرأي"<sup>65</sup>. لا شك أن بعضهم قد أفرط في الاهتمام بالسنة ورجالاتها ورواتها إلى درجة أن نسي مضمون الحديث ومادته ولبه وفقهه ومعناه، ولهذا قال الحاكم النيسابوري: "من

<sup>60</sup> المصدر السابق ص 47-48.

<sup>61</sup> أبو إسحاق الجورجاني: أحوال الرجال: تحقيق صبحي السامرائي (مؤسسة الرسالة، د.ت.م.ط) ص 206.

<sup>62</sup> ابن القيم: المنار المنيف ص 48-49.

<sup>63</sup> الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 1/130.

<sup>64</sup> القاضي عياض: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص 216.

<sup>65</sup> الخطيب البغدادي: نصيحة أهل الحديث ص 41.

علم الحديث معرفة فقه الحديث<sup>66</sup>. لأن فقه الحديث هو الذي سيحدد المعنى الدقيق، وهو المقصود الأول من قوله صلى الله عليه وسلم: "نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ قُرْبًا حَامِلٍ فَفَهِّهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلٍ فَفَهِّهُ لَيْسَ بِفَقِيهِ"<sup>67</sup>.

ولهذا قال سفيان الثوري: "تفسير الحديث خير من الحديث"<sup>68</sup>. ويقول ابن عبد البر الأندلسي: "أما طلب الحديث على ما يطلبه كثير من أهل عصرنا اليوم دون تفقه فيه، ولا تدبر لمعانيه، فمكروه عند جماعة أهل العلم..... والذي عليه جماعة فقهاء المسلمين وعلماؤهم ذم الإكثار دون تفقه ولا تدبر"<sup>69</sup>.

ثم يحذر الخطيب البغدادي أن: "الإكثار من كتب الحديث وروايته لا يصير به الرجل فقيها، إنما يتفقه باستنباط معانيه وإنعام التفكير فيه"<sup>70</sup>. وكان يحيى بن يمان يلوم هؤلاء ساخرا منهم بقوله: "يكتب أحدهم الحديث ولا يفهم ولا يتدبر، فإذا سئل أحدهم عن مسألة جلس كأنه مكاتب"<sup>71</sup>.

وسبب هذا الموقف المتشدد من علماء السلف تجاه هذه الظاهرة الخوف: "من أن يرتفع التدبر والتفهم" كما يقول ابن عبد البر<sup>72</sup>.

أما ابن الجوزي فإنه تشدد أكثر ضد أشياع هذه الفكرة، حيث يقول: "ولقد تشاغل خلق كثير من أصحاب الحديث بعلوم الحديث، وأعرضوا عن الفقه، فلما سئلوا عن مسألة في الأحكام افتضحوا"<sup>73</sup>.

وذكر الذهبي قصة غريبة وطريفة تبين الأمر وتوضحه: "قال البرقاني: قال لي الفقيه أبو بكر الأبهري: كنت عند ابن صاعد فجاءته امرأة فقالت له: أيها الشيخ، ماتقول في بئر سقطت فيها دجاجة فماتت، هل الماء طاهر أو نجس؟ فقال يحيى: ويحك كيف سقطت الدجاجة، ألا غطيتها؟ فقال الأبهري: فقلت لها: إن لم يكن الماء تغير، فهو طاهر، ولم يكن عند يحيى من الفقه ما يجيب"<sup>74</sup>.

<sup>66</sup> الحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري: معرفة علوم الحديث، تحقيق: زهير شفيق الكبي (دم. طبت، دار إحياء العلوم) 112.

<sup>67</sup> رواه أبو داود عن زيد بن ثابت، باب فضل نشر العلم رقم الحديث 3662، والترمذي في باب الحث على الاستماع رقم الحديث 2656، أحمد في مسنده رقم الحديث 13374 وابن ماجه في كتاب المناسك رقم الحديث 3056. بألفاظ مختلفة.

<sup>68</sup> أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء، شرح ومراجعة: سعيد محمد اللحام (بيروت، مكتبة الهلال، ط1، 1409هـ - 1989م) ص75.

<sup>69</sup> ابن عبد البر: مختصر جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله: اختصره أحمد البيروني، تحقيق: حسن إسماعلي مروة (بيروت، دار الخير، ط1، 1992م) ص313.

<sup>70</sup> الخطيب البغدادي: نصيحة أهل الحديث، تحقيق عبد الكريم الوريكات (الأردن، مكتبة المنار، ط1، 1988م) ص37.

<sup>71</sup> ابن عبد البر: مختصر جامع بيان العلم وفضله ص317.

<sup>72</sup> المصدر السابق ص316.

<sup>73</sup> ابن الجوزي: الحث على حفظ العلم ص39.

<sup>74</sup> الذهبي: سير أعلام النبلاء 78/28.

ويحدثنا الخطيب البغدادي عن قصة أخرى بقوله: " جاء رجل إلى الأعمش، فسأله عن مسألة، وأبو حنيفة جالس، فقال الأعمش: يا نعمان، قل فيها فأجابته، فقال الأعمش: من أين قلت هذا؟ فقال: من حديثك الذي حدثتنا، قال: نعم نحن صيادلة وأنتم أطباء"<sup>75</sup>.

ولقد كان السلف الصالح يجمعون بين الحديث وفقهه، فيقدر اهتمامهم بالإسناد اهتموا بالمتون، ثم خلف من بعدهم خلف ركزوا على السند دون النص، فقلَّ الفقهاء، وكثر المحدثون، يقول ابن الجوزي: " وقد كان المحدثون قديما هم الفقهاء، ثم صار الفقهاء لا يعرفون الحديث، والمحدثون لا يعرفون الفقه"<sup>76</sup>.

ولقد وصل الأمر ببعضهم إلى بغض أهل الحديث، لشدة تركيزهم على جمع الأحاديث وحفظها، دون التركيز على المعاني وفقهها، أي بعبارة أخرى، الاهتمام بالمباني لا المعاني، بالأسانيد لا المتون، يقول شعبة: " كنت إذا رأيت رجلا من أهل الحديث يجيء أفرح به، فصرت اليوم ليس شيء أبغض إلي من أن أرى واحدا منهم"<sup>77</sup>. ولقد أدرك الإمام يوسف بن عدي هذين الصنفين من الناس فقال: أدركت الناس فقيها غير محدث، ومحدثا غير فقيه، خلا عبد الله بن وهب، فإني رأيت فقيها محدثا زاهدا، صاحب سنة وأثار"<sup>78</sup>. وقال النووي وهو يتحدث عن أبي ثور: " أبو ثور الفقيه الإمام، الجامع بين علمي الحديث والفقه"<sup>79</sup>.

ولا إخال أن ثمة من ينكر كون الإمام مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد والثوري والأوزاعي جمعوا بين علمي الفقه والحديث أي كانوا محدثين وفقهاء"<sup>80</sup>.

### الخاتمة

هناك صلة وثيقة وعلاقة وطيدة بين عملية نقد المتون (النقد الداخلي) وفقه الأحاديث، فالتركيز على النقد الداخلي للحديث أعني - نقد المتن وقراءته قراءة متأنية- يساعد بشكل طبيعي عملية فقه الحديث وفهمه وبيانه وشرحه، أما النقد الخارجي

<sup>75</sup> الخطيب البغدادي: نصيحة أهل الحديث ص45.

<sup>76</sup> عقيل بن محمد زيد المقطري: الفصام المبتدع بين أهل الفقه وأهل الحديث (بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1995م) ص54.

<sup>77</sup> ابن عبد البر: مختصر بيان العلم وفضله ص316.

<sup>78</sup> ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب 73/1.

<sup>79</sup> النووي: تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (د.م.ط.ت). 772/1-773.

<sup>80</sup> 80، وإن كان الطبري لا يعد الإمام أحمد فقيها، وهذا اجتهاد منه، وإلا فإن فقه أحمد في كثير من المسائل أعمق وأدق من غيره من المذاهب، فهو بحق محدث وفقه. وبسبب موقف الطبري تعرض رحمه الله لحملة عنيفة من قبل بعض متعصبي الحنابلة، يقول ابن خزيمة: " فما أعلم على أديم الأرض أعلم من بن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة" انظر: ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط3، 1406 هـ، 1986م)

للحديث، وأعني بذلك - نقد الأسانيد- فإنه لا يساعد على فهم النص، بل إنه يتجاهل مادته ونصه، لكونه عملية خارجية بعيدة عن متن الحديث ونصه ومادته.  
ومع أهمية السند في علم الحديث، إلا أن أهمية المتن وفقه الحديث لا يمكن تجاهلها وإغفالها، ولذلك ألفينا المحققين من المحدثين يهتمون بهذا الجانب الرئيس في تعاملهم مع الحديث النبوي، ويصفون الحفاظ وكتابة الحديث بأوصاف ساخرة، لكونهم لا يهتمون بالجانب النصي بقدر اهتمامهم بالجانب السندي.

ومعلوم أن عملية نقد المتن ليست سهلة ميسرة لكل من هب ودب، بل هي صناعة المختصين والمهتمين بالحديث النبوي، فلهذا الفن قواعده وأسسها وضوابطه، وضعها العلماء المحققون بدقة وعناية، فليست عملية مبنية على الهوي والتشهي والذوق والكشف وما شاكل ذلك، ثم إن مجرد رفض الحديث ونقده من غير تعويل على هذه الأسس والقواعد بحجة مخالفته العقل، أمر في غاية الخطورة، ولا يمكن قبوله في الوسط العلمي، لأن العقول متفاوتة ومختلفة، فعقل العالم لا يضاهي عقل من هو أدنى منه مستوى، وعقل المتضلع الفقيه في السنة لا يضاهي عقل المتصفح المثقف، لذا يشترط للعقل الناقد للحديث النبوي أن يكون مؤمنا بالحديث النبوي في كونه مصدرا للمعرفة والشريعة والعقيدة، وذلك حتى لا ينطبق عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيَّكُمْ بِهِذَا الْقُرْآنَ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحْلَوْهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرَّمُوهُ"<sup>81</sup>. وفي رواية: "« وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ »"<sup>82</sup>. فالحديث يبين أن السنة كالقرآن الكريم من حيث وجوب اتباعها والعمل بها، ولقد أكد السيوطي أن السنة كالقرآن الكريم باعتبار الحجية ووجوب الاتباع، فالقرآن والسنة في ذلك سواء، وقد بوب لذلك الخطيب البغدادي فقال: باب ما جاء في التسوية بين حكم كتاب الله تعالى، وحكم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في وجوب العمل ولزوم التكليف"<sup>83</sup>.

وقال البيهقي: " هذا الحديث يحتمل وجهين: أحدهما، أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أوتي من الظاهر المتلو، والثاني: أن معناه أنه أوتي الكتاب وحيا يتلى، وأوتي مثله من البيان أي أذن له أن يبين ما في الكتاب فيعم ويخص، وأن يزيد عليه، فيشرع ما ليس في الكتاب له ذكر، فيكون ذلك في وجوب الحكم، ولزوم العمل به كالظاهر المتلو من القرآن"<sup>84</sup>.

<sup>81</sup> رواه أبو داود باب لزوم السنة رقم الحديث 4606. رواه أحمد في مسنده من حديث المقدم بن معد يكرب رقم الحديث 17213.

<sup>82</sup> رواه الترمذي ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم رقم الحديث 2664

<sup>83</sup> السيوطي: البدر السافرة في أمور الآخرة، تحقيق: أحمد إبراهيم أحمد (دم.ت.ط) 17/1.

<sup>84</sup> أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان (المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ط2، 1388هـ، 1968م) 1819/9.

تم البحث بحمد الله